الحلقة الرابعة

الإنسان جسد وروح

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فلنلق نظرة علي الإنسان ، ومن خلال هذه النظرة المتأنية ، سنعرف مم كّون هذا الإنسان ، ونعرف كذلك التقييم الإلهي له . ولم كانت فريضة الصيام ؟ ولماذا كانت الأوامر الربانية بالعبادات المختلفة ؟ ومائدة رمضان بما تحويه من معرفة ، ستزودنا بما نحتاج إليه من معلومات في هذا الشأن ، وها نحن أولاء نجلس إلي تلك المائدة ، ونستقي منها ما نحن بصدد المعرفة عن الإنسان ، وقد عرفنا من خلالها ما يتكون منه ، وبيان ذلك انه يتركب من عنصرين : وهذان العنصران متناقضان ، إذ إن أحدهما : روحي، ومصدره الملأ الأعلى ، وهو يقترن بالقيم السامية والفضائل العالية ، وأما العنصر الآخر : فهو مادي، ومصدره الأرض ، وهو يقترن بالشهوات ، ويرتبط بالملذات ، إنهما عنصران تكوّن منهما الإنسان ، ولهذا فهو مزيج من الخواص الملائكية والخواص الحيوانية ، وهو بهذا التكوين الملائكي الحيواني ، في مرتبة وسطي بين الملكية والحيوانية ، وهذا الإنسان الذي بهذه الصورة ، اختاره ربه ليكون في منصب الخلافة في الأرض ، وهذه الخلافة تشريف له وتقدير ، وقد خاطب ربنا ملائكته وأخبرهم بهذا الاختيار؛ فقالوا لربهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ (البقرة : ٣٠).

ولكن الله - تعالي - أخبر الملائكة بأن اختياره الإنسان مبني علي

الحكمة، وأنه - جل شأنه - يعلم ما لا تعلمه الملائكة ، وقد جاء القرآن الكريم بقول الله - تعالي - :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٠).

ثم إن ربنا اختار الإنسان لحمل الأمانة وهي عبء ثقيل ومسئولية خطيرة ، وصدق - سبحانه - حيث قال :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ (الأحزاب : ٧٢).

إن الإنسان جسد وروح ، والروح تشده إلى اصلها ومنبعها ، وتذكره بمركزه ووظيفته في أرض الله ، وتبعث فيه الثورة علي تلك المادة المرتبطة بالشهوات وتوحي إليه بالتحرر من أسرها ، والانطلاق في أجواء الحب في الله والمعرفة به ، وأداء ما كلف به بدقة وأمانة وإخلاص وصدق ، لينال الخير كله من الله، أما الجسد فهو علي النقيض من ذلك ، فهو يجذب الإنسان إلى أصله الأرضي، وما يترتب علي ذلك من ارتطام بهذه الأرض ، وانحدار إلى وهادها ، وسير في ظلماتها ، واقتراف لما عليها من منكر.

وهكذا كان الإنسان مزيجا من الروح والجسد ، وشتان بين الاثنين، إذ أن الروح متصلة بالملأ الأعلى بما فيه من شفافية وسمو ، أما الجسد فارتباطه بالأرض وما فيها من رذائل . ولهذا فالإنسان قد يكون عند الله خيرا من الملائكة الذين خلقوا من النور ، وذلك إذا ملكت الروح زمام المبادرة ، وفرض العقل

سلطانه علي العنصر المادي ، إنه عند ذاك يكون السمو والتحليق في عالم الفضائل، والانتصار الساحق علي المادة ، وتكون المسيرة العطرة في الدنيا ، والتي تؤهله إلى حياة سعيدة كل السعادة في الآخرة ، بما فيها من روح وريحان وجنة نعيم ، ورضا من الله رب العالمين.

أما إذا كان السلطان للجسد ، والانتصار للمادة علي الروح ، والانسياق وراء الشهوات ، وتغلب الطبيعة الحيوانية في الإنسان ، وسيطرتها علي التفكير ، والاستحواذ علي المشاعر والحواس ، والجري وراء الماديات والبعد عن القيم ، والاسترسال في إرضاء نهم الإنسان وإشباع رغباته ، إنه عند ذاك تكون الكارثة ، ويكون الإنسان آنئذ شرا من البهائم ، ومن هنا ندرك النتيجة التي تترتب علي تغلب أحد العنصرين علي الآخر ، والإنسان هو الذي يصنع المقدمات ، وهو السبب في حسن النتيجة أو عدم حسنها ، ورحمة من الله بالإنسان الذي يتخبط في حياته ، كان إرسال الرسل في أزمنة مختلفة وأماكن معينة ، لكي يوجهوا الناس إلى المعرفة بالله ، ويرشدوهم إلى طريق الاستقامة والخير ، ويبينوا لهم واجباتهم في حياتهم التي كلفوا بها من قبل الله ، وينموا عقيدتهم الإيمانية ، ويأخذوا بأيديهم إلى دروب النور ومسالك الاستقامة ويعدوهم الإعداد السليم المبني علي الأخلاق الإسلامية، ويقودوا جانب الروح فيهم ليكونوا علي مستوي الخلافة التي لا تتحقق إلا بتغلب الجانب الروحي علي الجانب المادي.

وللوصول إلى تلك الغاية السامية وهي الخلافة ، كان الأمر الإلهي بالصوم، لكي يحدّ هذا الصوم من شراهة المادة وأخطارها المعدية ، ويعيد للنفس ما فقدته

من اتزان ، وليقوي الجانب الروحي بالشحنة الإيمانية التي يأتي بها الصيام ، وبهذا يكون الانطلاق السريع والمتواصل في ميدان الخير وفي طاعة الله، وعندئذ تكون راية القيادة في جانب النور والروح، ويكون الانتصار المؤزر لقوة الخير علي قوة الشر ، وفي ظل هذا الانتصار الروحي الذي هو نتيجة الصيام ، يسعد الإنسان ويسمو ، ويرتفع ذكره ، ويعلو نجمه ، وترتع روحه في رياض الخير ، وتسرح في ملكوت السماوات والأرض ، وتعرف النفس لذة لا عهد لها بها في الطعام والشراب ، إذ الصيام عدل السلوك ، ونّظم تناول الطعام ، ثم هو حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات ، وللصوم تأثير كبير في حفظ الجوارح الظاهرة والقوي الباطنة ، وهو اكبر عون علي تقوي الله تعالي.

وإذاً فالصوم يستهدف قمع الشهوات الجامحة ، والعادات المستهجنة ، والاسترسال في تلبية مطالب الجسد والعبادات الأخرى التي فرضها رب العزة - جل شأنه - وهي كذلك علاج وتوجيه ، وفيها التهذيب والتربية ، وبها تتكون الشخصية الإيمانية الكاملة ، وكل عبادة فرضها ربنا إنما هي لمصلحة عباده ، وهي تجتث نوازع الشر في النفوس ، وتغسل القلوب بماء الطاعة ، وعندئذٍ تتطهر بعد دنس ، ويستقيم الإنسان بعد اعوجاج .

أيها الإخوة وأيتها الأخوات : ها نحن أولاء عشنا في بستان تلك المائدة ، وقد استقينا المعلومات منها عن تكوين الإنسان ، وأنه ليس ملائكيا صرفا ولا حيوانيا صرفا ، وإنما هو مركب منهما معا ، ثم إن الله كرمّه وأعلي قدره :

﴿ ولقد كرمنا بني أدم ﴾ (الإسراء : ٧٠).

ومن مظاهر التكريم استخلاف الإنسان في الأرض ، والصيام الذي فرضه الله علينا فضلاً عن انه عبادة فهو نعمة ، وهو خير من الله لنا ورحمة بنا ، لأن آثاره كثيرة وفوائده غزيرة ،

والسعادة كل السعادة في تطبيق ما أمر به الله تطبيقا أمينا ، وإنا لنسأل ربنا أن يقوي إيماننا ، ويهيئ لنا الخير حيث كان ، ويجعلنا من الذين يؤدون الصيام بروحه لا بهيكله ، وأن يكون معنا دائما بفضله وكرمه ورعايته . اللهم آمين .